

الصهيونية

نشأتها وتطورها

١ - قبل عهد بلفور

للاستاذ محمد عبد الله عنان

لقد حدثت فلسطين الأخيرة أنظار العالم مرة أخرى إلى ذلك النظام السياسي الاجتماعي الغريب الذي فرض على فلسطين تحقيقا لمشاريع السياسة الاستعمارية . ففي فلسطين أمة عربية تعيش في ذلك الوطن منذ آماذ بعيدة ، ولكنها تجد اليوم نفسها أمام خطر داهم على كيانها القومي ، وترى اليهودية تتمكن من غزو هذا الوطن بطريقة منظمة مستمرة ، تنفيذا لعهد قطعه بريطانيا العظمى على نفسها ابان الحرب الكبرى ، بأن تعاون على انشاء وطن قومي يهودى في فلسطين

وفكرة الوطن القومي اليهودى قديمة ترجع الى العصور الوسطى . ولكنها لم تكن في تلك العصور التى كانت بالنسبة لليهودية « عصرها الحديدي » أو عهد الاضطهاد الشنيع أكثر من مثل أعلى أو أمنية مقدسة غامضة . ولكنها منذ القرن الثامن عشر تغدو نظرية سياسية اجتماعية ترمى الى غايات عملية . وكان أقطاب اليهودية في ذلك العصر وعلى رأسهم رجال ممتازون مثل مندلزون ولسنج (١) يرون أن تتخذ القومية اليهودية صبغة محلية ، فيغدو اليهود من أبناء البلد الذى استوطنوه مع احتفاظهم بتراثهم الروحى . ولكن هذه القومية المعتدلة التى امل بها جو التسامح الذى نعمت به اليهودية يومئذ لم تلق كبير تأييد ، ولم يطل أمدها ، واستمرت الفكرة القديمة على قوتها وتأثيرها . ومنذ اوائل القرن التاسع عشر نجد يهود انكلترا يعملون على تقويتها وتبلس السبل لتنفيذها بالدعوة الى احياء التراث اليهودى وانشاء المستعمرات اليهودية في فلسطين . ومن ذلك الحين تتجه اليهودية ببصرها الى فلسطين ؛ وتكرر جهودها لاقتناع السياسة البريطانية بإمكان قيام وطن قومي يهودى في فلسطين تحت الحماية البريطانية ، وإن قيامه يغدو ضمانا قويا لتأمين طريق الهند البرى

١ - موسى مندلزون ١٧٢٩ - ٨٦ فليسوف وكاتب يهودى المانى كبير ولسنج ١٧٢٩ - ٨١ كاتب مسرحى ونقاد يهودى المانى

المقدس عن القضية العربية الكبرى ، وانحى باللائمة على شعرائنا الغزاليين الذين غلبت على طباعهم الميوعة فذابوا على اقدام الغيد ، وتركوا جيش الجهاد يسير من غير موسيقى ! ثم شرح الأستاذ أسئلته بطائفة من الآراء الحماسية يدعو بعضها الى جدال طويل أما خطة الرسالة وغايتها فلعل الأستاذ يذكر أننا رسمناها في استهلال العدد الأول منها ، وما نشرنا ولن نشر الا ما يسير هذه الخطة ويقابل هذه الغاية بوجه من الوجوه . نقول بوجه من الوجوه لأن القول بأن : (يتفق طائفة من شيوخ الأدب وقادته على مذهب واحد فيه ، ثم يعلنوا هذا المذهب للناس ليتبعوه ويؤثروه) قول تأباه الطبيعة وتنكره أصول الفطرة مادام الأدب بمعناه الأخص هو التعبير الجميل عن العواطف والأخيلة والأفكار . وذلك التعبير يختلف بالضرورة في كل كاتب باختلاف تربيته ، وبيئته وطبيعته وذوقه . وفى ظننا ان تجديد الغاية من الأدب وتوحيد الطريق الى هذه الغاية لا يخلان في حدود الامكان الا اذا استطعت ان توجه أهواء النفوس في متجه لا تتنكب به ، وتحتصر خواطر الذهن في مضطرب لا تعدوه

وأما (ان الأدب العربى الحديث قد شب ولم يعد طفلا يدلل ويرقص) فأرى تخامرنى فيه كثير من الشك ، لان أدبنا لا يزال يطلب من النقد ان يهدده كالأم ، ويربت على ظهره كالآب ، فاذا حذر مزلق الهوى والطيش ، بشئ من الجد صاح وأعول ودبدبت رجلاه فى الارض ، وراح يرسل السباب ويعلن الشكوى فى غير سداد ولا فطنة هذه جملة قصيرة من الجواب عجل بها اليك مساسها بخطة الرسالة . أما سائر الجواب فستقرأه مفصلا فى العدد المقبل ؟

تليفون رقم ٥١٣٩٤

مكتبة النهضة المصرية

لصاحبها حسن محمد

أول مكتبة افرنجية يملكها مصرى

تبيع بسعر الخارج

كتب الطب والجامعة المصرية والمدارس العليا والثانوية

وبها أكبر مجموعة من الرويات والمجلات والجرائد الأفرنجية

والمطبوعات العربية الحديثة

وهنا تتخذ فكرة القومية اليهودية صبغة سياسية واضحة ؛ وتبدو الفكرة الصهيونية في شكلها الحديث . والصهيونية هي القومية اليهودية . اشتقت من « سيون » العبرية او صهيون وهي الالة او المعقل . وقد أطلقت اولاً على موقع التل الذي بنى عليه الهيكل ثم أطلقت على بيت المقدس ؛ ثم على الامة اليهودية كلها ، وراثتها الروحي ؛ واصبح معناها الحديث عود القومية اليهودية واستردادها لراثها الغابر . وبهذا تفهم الصهيونية في عصرنا ولهذا تعمل

واذا فالصهيونية الحديثة ترجع الى اواسط القرن التاسع عشر . وفي هذا الحين نفسه تلقى الصهيونية مادتها وقوتها : ذلك ان خصومة السامية أو نزعة التعصب ضد اليهود قد اضطرت يومئذ بفورة جديدة في معظم الدول الاوربية ، واسفرت عن مذابح مروعة في روسيا والمجر . وعصفت باليهود في المانيا ثم عصفت بهم في فرنسا حيث بلغت الحركة ذروتها في قضية دريفوس الشهيرة (سنة ١٨٩٦) . ورأت اليهودية انها رغم حصولها على الحقوق المدنية والسياسية في معظم الدول الغربية ، مازالت عرضة للبغض القديم الذي اصبح تقليدا راسخا في المجتمعات الغربية . عندئذ بدت فكرة الوطن القومي اليهودي ضرورة يجب تحقيقها لخير اليهودية وسلامها . وأخذ اقطاب اليهودية يعملون على اذاعة الفكرة واتخاذ الخطوات العملية الاولى في سبيل تحقيقها . فالفت جميعا لانشاء المستعمرات اليهودية وزودت بالمال . وبدأت مساعي المالين اليهود لدى الباب العالي لانشاء هذه المستعمرات في فلسطين . ثم لقيت الفكرة روحها المضطرم في كاتب يهودي نمسوي قى هو تيودود هرتسل . وقد ولد هرتسل ببودابست سنة ١٨٦٠ ، وظهر في الصحافة والتأليف المسرحي ، وظهر بالاختصاص بكتاباتاته القوية الملتهبة في سبيل القضية اليهودية . وكان هرتسل يرى ان الوطن القومي ضرورة لليهودية لأمنية فقط ، وفي سنة ١٨٩٦ اخرج رسالته الشهيرة Die Judenstaat : « الدولة اليهودية » يعرض فيها فكرة الوطن القومي عرضاً قوياً ، ويرى ان يتخذ هذا الوطن صورة دولة يهودية في فلسطين تكون تحت سيادة الباب العالي وتؤدي له الجزية وتكون البقاع المقدسة منطقة مستقلة ذات نظام خاص ، فكان لدعوته وقع عظيم في اليهودية بأسرها ، وايده اقطاب المفكرين اليهود مثل مكس نورداو واسرائيل زنجويل (١) وغيرها . وكانت

(١) ماكن نورداو طبيب وفيلسوف ونقاد يهودي كبير ولد ببودابست سنة ١٨٤٩ وتوفي سنة ١٩٢٦ ؛ واسرائيل زنجويل كاتب وقصصى انجليزى يهودي (١٨٦٤ - ١٩٢٦)

اليهودية على أثر ما عانت من اضطهاد الخصومة السامية في معظم البلاد تتحفز يومئذ للذود عن نفسها ، وتستجمع جهودها للقيام بحركة ايجابية منتجة . وسرعان ما انتظمت هذه الحركة تحت لواء هرتسل وزعامته ، وفي اغسطس سنة ١٨٩٧ عقد مؤتمر يهودي عام في بازل (سويسرا) برئاسة هرتسل وفيه وضع برنامج الصهيونية الرسمي وعرفت غايتها ووسائلها على النحو الآتي :

« تسعى الصهيونية لتحقيق للشعب اليهودي انشاء وطن في فلسطين ، يتمتع بالضمانات التي يقرها القانون العام ، ولكي يمكن تحقيق هذه الغاية ، يرى المؤتمر الوسائل الآتية :

(١) ان يشجع استعمار فلسطين بواسطة الزراع والعمال والصناع التشجيع الواجب

(٢) ان ينظم العالم اليهودي بأسره وان يحشد في الجماعات المحلية او العامة طبقا لقوانين البلاد المختلفة

(٣) ان تقوى لدى اليهود عواطف الكرامة القومية والاعتزاز بالجنس

(٤) ان تبذل المساعي التميدية اللازمة للحصول على التصريحات الحكومية الضرورية لتحقيق غاية الصهيونية ،

ثم توالى المؤتمرات الصهيونية في كل عام وبدأت مساعي اليهودية العملية واتصل هرتسل بالباب العالي ، فظهر نحو الفكرة ميلا في البداية باعتقاد أن تأييدها يكسبه نفوذا جديدا ، حاول أن يجعل من ذلك وسيلة لحل المسألة الارمنية بشروط عرضها على اليهود الانكليز . ولكنه أخفق في هذه المحاولة . وزار هرتسل السلطان عبد الحميد في سنتي ١٩٠١ و ١٩٠٢ فأنس منه اعراضا واخفق في سعيه . فاتجه هرتسل الى انجلترا وعرض أن ينشأ الوطن القومي اليهودي في أية منطقة من البلاد الواقعة تحت النفوذ البريطاني ، واقترحت خلال ذلك منطقة سيناء المصرية ثم منطقة في الشرق افريقيا البريطاني . ولكن أغلبية المؤتمر الصهيوني (سنة ١٩٠٣) رفضت فكرة التحول عن فلسطين الى غيرها وعدتها تراجعا وهزيمة للفكرة القومية الاهلية ، ثم توفي هرتسل سنة ١٩٠٤ في عنفوان قوته وجهوده فكانت وفاته ضربة قوية للحركة الصهيونية . ولم تجد الحركة من بعده مدى اعوام من يقودها بمثل قوته ونفوذه . وترعمها مدى حين فولفزون المالى الالماني ، واسرائيل زنجويل الكاتب الانكليزى ، وجددت المساعي لدى الباب العالي ، ولكن اضطراب الاحوال السياسية في تركيا حال دون كل مسعى .

المقبرة البحرية

للشاعر الفرنسي بول فاليري

تلوت المقال المشهور بعنوان « حول قصيدة » للدكتور طه حسين فأعجبت به إعجابي بكل ما تسطره يراعة استاذنا المفكر، فثارت رغبة نفسي في الاطلاع على هذه القصيدة المحاطة بالاسرار والتي اختلف النقاد والادباء في تفهمها. فرجعت الى كتيبي التي اعتدت ان ازود بها في سفري، فلم أعر على القصيدة جميعها ولكنني وقعت على قسم منها لعله يكون « خيرها » لانه أدنى الى الافهام ولعله « أسوأها » ان كانت روعة هذه القصيدة تتجلى في الغازها وطلاسمها، ولكنني حتى في هذا القسم الواضح - لم أفع الا على ما تتنازع في تفهمه الخواطر، فقلت: امر هذه القصيدة غريب عند اصحابها، فكيف عذمن يريدون ان يقرأوها مترجمة وكل مترجم قد اتجى ناحية قد لا تجمعها بالآخر الا رموز! ولكن الروعة الغالبة في القصيدة لا ترجع الى الوانها القائمة وصورها الغامضة، وانما تعود الى فنا. وطريقها التي جاءت بها.

في القصيدة غموض شامل! وهل كان الغموض سراً من اسرار البيان؟ وهل في استطاعتنا ان نجعل من الغموض مرادفاً للبيان؟ ولكن هل كان البيان كله مستوعباً للفن كله؟ اليس من الفن الشيء الغامض والشيء المعجب والشيء المثير؟ وهو بعد ذلك كله غامض جد الغموض لا يفتح على النفوس الا بقدر استقرارها واستجلائها للخطوط والالوان.. وهل كان اختلاف الناس في تفهم القصيدة الواحدة عيباً من عيوبها البيانية ام قيمة رائعة للقصيدة التي يتشعب من فنا فنون ومن سيلها الواحدة سبل متعددة.

أنا أحب الكتاب الذي يصرع قارئه طوراً وطوراً يصرعه قارئه كما يحبه استاذنا الجليل - واحب القصيدة التي لا تتركنا الا بعد ان تموج انفسنا بشقي اهوائها وميولها، ولكنني لا أحب - ولن أحب - ان يرجي الغموض في الفن لمجرد الغموض. لأن الأمر لا يؤول الا الى فرضي تعمل على تقويض الفن من حيث نحسب اننا عاملون على رفعه.

هنالك آثار فنية واغحة كل الوضوح، ولكن المطلع عليها لا يلبث ان يرتد عنها ضيق الصدر مظلم القلب، وهنالك آثار غامضة كل الغموض لا ينظر اليها الانسان حتى تملأ نفسه روعة وجلالا.

وجددت المساعي لدى انكسرتا. واقترحت اثناء ذلك برقة أو الجزيرة في العراق لتكون مركزاً، للوطن القومي، ولكن هذه المساعي اخفقت ايضا فقت هذا الفشل المتكرر في عضد الصهيونية. وخبث حماسها، فطرت جهودها حتى نشوب الحرب الكبرى وفي اثناء الحرب سعت اليهودية الى غايتها بجد ومثابرة، وقدمت الى الحلفاء كل معونة ممكنة فامدتهم بالقروض المالية، والفت فرق يهودية عسكرية تحارب الى جانبهم. وتولى الزعماء اليهود: لورد روتشيلد والدكتور ويزمان ومسيو سو كولوفا تنظيم هذه الحركة والسعي لدى دول الحلفاء وبخاصة انجلترا في تحقيق مشروع الوطن القومي، واسدى الدكتور ويزمان، وهو علامة كيمائي ومخترع بارع الى انجلترا اثناء الحرب خدمات جليلة؛ بتولى المباحث الكيميائية في المعامل الحربية الانجليزية؛ واختراع مادة جديدة للفرقعات القوية. واستندت اليه منذ سنة ١٩١٧ رآسة الهيئة الصهيونية العالمية. وكانت انجلترا تعد يومئذ هجومها على فلسطين وامل اليهودية يدوعلى وشك التحقيق. وكانت فرنسا أول من تقدم من الحلفاء لتأييد مشروع الوطن القومي اليهودي بصفة رسمية؛ ففي ٤ يونيه سنة ١٩١٧ وجه مسيو كامبون وزير الخارجية الفرنسية الى مسيو سو كولوفا رئيس اللجنة الصهيونية التنفيذية خطاباً يؤكد فيه عطف الحكومة الفرنسية على القضية اليهودية والوطن القومي، وفي ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ اصدرت الحكومة البريطانية عهداً الشهير بانشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين، وعرف هذا العهد باسم اللورد بلفور وزير الخارجية البريطانية يومئذ؛ وتلى في مجلس العموم البريطاني في النصف الثاني من نوفمبر وادمج في خطاب رسمي وجه الى اللورد روتشيلد كبير اليهودية الانجليزية وهذا نصه:

عزيزي اللورد روتشيلد: يسرني اعظم السرور ان اوجه اليك باسم الحكومة البريطانية التصريح الآتي بالعطف على الاماني الصهيونية اليهودية وهو تصريح عرض على الحكومة البريطانية وافقرته وهو:

« ان حكومة جلالتنا تنظر بعين العطف الى انشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين؛ وسوف تبذل ما في وسعها لتحقيق هذه الغاية. ومن المفهوم انه لن يعمل شيء مما قد يضر بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين ولا بالحقوق او المركز السياسي التي يتمتع بها اليهود في أي بلد آخر»

عنان

للبحث بقية